هند أبو الشعر وكتابها حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي في الكوفة (٦٤-٦٧هـ/٦٨٤-٦٨٦م)

د. أنور عودة الخالدي *

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى محاولة التعرف إلى المؤرخة العربية الأردنية هند غسان توفيق أبو الشعر، وكتابها (حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي في الكوفة)، وذلك من خلال التعرف على معالم حياة أبو الشعر، وبيان أهمية كتابها، خصوصًا أنها من المؤرخين القلائل الذين كتبوا عن حركة المختار بن أبي عبيد في الكوفة، بشكل علمي تميز بكمٍّ وافر من الروايات والمصادر والمراجع، ودراسة الروايات والرواة، ومعرفة ميولهم واتجاهاتهم تجاه هذه الحركة، وتحاول الدراسة تسليط الضوء على حياتها وثقافتها، ودراسة كتابها وأسلوبها في تصنيف كتابها، والمواد التي اعتمدت عليها، ومنهجها، والنطاق الزمني لكتابها.

* رئيس قسم التاريخ والجغرافية التطبيقية – جامعة آل البيت.

الكلمات الدالة: هند أبو الشعر، حركة المختار، الكوفة، التشيع، حركة التوابين، الاتجاهات القبلية.

المُقدمة:

سعت هذه الدراسة إلى بحث الفعاليات القبلية، في إطار التيارات العامة السياسية والفكرية في مدينة الكوفة، لكون تلك الفترة تميزت بالصراع بين الاتجاهات القبلية والحزبية، وكذلك دراسة الآثار الفكرية (وهنا الحديث عن الغلوّ في الكوفة، والسبئية والخشبية والكيسانية).

وفي المقابل، تناولت الحديث عن خطط الكوفة أيام المختار بن أبي عبيد الثقفي، وسكان الكوفة (القبائل، الحمراء، النبط، الموالي)، ودراسة هذه التركيبة من قبل المؤرخة أبو الشعر؛ للتعرف على المواقع التي جرت فيها الحوادث، والتجمع السكاني الذي توجه إليه المختار بدعوته في الكوفة.

وتوسّع الاهتمام بدراسة حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي في الكوفة، من قبل المؤرخين المحدثين، ومنهم أبي النصر محمد الخالدي بعنوان: «قصة المختار بن أبي عبيد الثقفي: دراسة اجتماعية وسياسية ودينية»، وكذلك الكتاب المعنون بـ: «المختار بن أبي عبيد الثقفي»، الصادر عن سلسلة أعلام العرب، وكتاب حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي لمحمود السيف، وكتاب شخصية المختار الثقفي عند المؤرخين القُدامى للمؤرخ سالم الغِزي، والمختار الثقفي في الميزان، لمحمد العبيدان، والمختار الثقفي لأحمد الدجيلي، وكتاب دولة المختار الثقفي: رؤية جديدة لصفاء الخطيب، وغيرهم.

وبذل هؤلاء المؤرخون، على الرغم من ميول كثير منهم، جهودًا لحفظ تاريخ حركة

المختار الثقفي، وكذلك تدوين كل ما استطاعوا جمعه عنها، وعن مدينة الكوفة، والروايات التي تتعلق بخططها وموظفيها من الإداريين والعسكريين أيام الدولة الأموية، وكذلك أوضاعها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وكانت هند أبو الشعر أبرز من كتب عن هذه الحركة، وعن صاحبها، وعن مصادرها، وتقسيم هذه المصادر، وعن مدينة الكوفة وخططها وتركيبها السكاني، وعن التشيع في الكوفة، وآثار هذه الحركة الفكرية، وختمت دراستها العلمية المُعمقة بقائمة بالفهارس للقبائل، والأعلام، والأماكن في الكوفة، والمواقع، والفرق، والشعارات والمعتقدات، وأصحاب المختار الذين أوردت المصادر أسماءهم، إضافة إلى خريطة افتراضية للكوفة أيام المختار الثقفي، اعتمادًا على الروايات التاريخية (أبو الشعر، حركة المختار، ١٩٨٣م، ص٣٧٩-٤٣١).

ومن خلال اطلاعي على العديد من الدراسات الحديثة عن حركة المختار الثقفي في الكوفة، فإن هذه الدراسة تطمح إلى أن تكون الدراسة العلمية الأولى المحايدة والواسعة، بمصادرها ورواتها ورواياتها، وما تميزت به من تدقيق وتمحيص وتحليل علمي بحت.

اسمها ونسبها وولادتها:

هي هند غسان توفيق أبو الشعر، المولودة في مدينة عجلون من أرض الأردن، في أسرة أبو الشعر العربية الأردنية، وهي أسرة اعتنت بالعلم والفكر والثقافة، ومن أقاربها عقيل سليمان أبو الشعر النمري، وهو من رواد العرب في مجال الكتابة الروائية والفكرية، وأول كاتب أردني، وعاشت طفولتها وشبابها ومدارسها الأولى في بلدة الحصن في مدينة إربد، ثم انتقلت إلى مدينة الزرقاء، ودرست في مدارسها.

وهند أبو الشعر كريمة الخليقِة، شريفة الملكَةَ، سامية الأخلاق، نبيلة النفس، محمودة

الشمائل، أريحية الطباع، كريمة المَخبَر، كريمة المَحسِر، حرة الطينة، عالية الهمة، متواضعة النفس.

وحصلت هند أبو الشعر على البكالوريوس والماجستير والدكتوراه من الجامعة الأردنية، وعملت في جامعة آل البيت عند تأسيسها أستاذة للتاريخ الحديث في كلية الآداب والعلوم، وهي قاصة وفنانة تشكيلية، وأكاديمية ومؤرخة وكاتبة، وحياتها زاخرة بالبحث والتأليف والتوثيق[١].

ويلحظ المُطلع على سيرة أبو الشعر اهتمامها الواسع بتدوين التاريخ، وهو العلم الذي غلب عليها؛ إذ أضحت واحدة من كبار المؤرخين الأردنيين والعرب.

ووصفها بعضهم بأنها يغلب عليها طابع الكتابة القصصية، واشتهرت أيضًا بمعرفتها الواسعة بتواريخ بلاد الشام، وخصوصاً التاريخ العثماني فيها (انظر مؤلفات وأبحاث د.هند أبو الشعر).

موارد أبو الشعر في كتابها حركة المختار:

تُعد أبو الشعر، من خلال دراستنا وقراءتنا لمواردها في كتابها (حركة المختار) من حملة العلم، وأهل التحصيل، وأرباب الاجتهاد، ومن أهل النظر، ومن ذوي البسطة في العلم، فقد وقفت أبو الشعر على مكتبة ضخمة من المصادر التاريخية، ومن رواته كابي مخنف لوط بن يحيى الأزدي (ت١٥٧هـ/ ٧٧٤م)، وهو من أكثر الإخباريين غزارة في تدوين أخبار العراق[٢]، وكذلك عروة بن الزبير الأسدي القرشي المدني (ت٩٤هـ/ ٧١٤م)، وتعد روايات عروة بن الزبير المختار بن أبي عبيد الثقفي خارجة على سلطة عبدالله بن الزبير[٣].

ومن الإخباريين المعاصرين للحركة ومن موارد د. أبو الشعر، عامر بن شراحيل الشعبي

الحميري الكوفي (ت١٠٣هـ/ ٧٢١م)، الذي تُعد رواياته مهمة جدًّا، على الرغم من قلتها لأنها مباشرة[٤].

وكذلك من مواردها محمد بن سعد الزهري (ت١٢٤هـ/ ٧٤٢م)، وله روايات كثيرة في حركة التشيع، وهناك هشام بن عروة (ت١٤٥هـ/ ٧٦٣م)، وسيف بن عمر التميمي (ت١٨٠هـ/ ٧٩٦م)، وكذلك روايات الواقدي (ت٢٠٧هـ/ ٨٢٢م)، وروايات الهيثم بن عدي الطائي (ت٢٠٩هـ/ ٨٢٤م)، وروايات أبو الحسن علي بن محمد المدائني (ت٢٣٥هـ/ ٨٥٠م)، وهناك أيضاً عوانة بن الحكم الكلبي الكوفي (ت٢٤٧هـ/ ٨٦١م)، ورواياته مختصرة ومتفرقة عن حركة المختار، وبينت أبو الشعر أن التباين في الأخبار يوجب التدقيق والحذر قبل الأخذ بها ومقارنتها[٥].

واعتمدت أبو الشعر كذلك على المصادر التاريخية التي تتناول أخبار الحركة ومنها:

- كتاب «الفتوح»، وكتاب «أنساب الأشراف» لأبي الحسن البلاذري (ت٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)، ويمتاز البلاذري في رواياته بالتدقيق، واستبعد بعض الرواة والروايات.
- تاريخ «الرسل والملوك» لأبي جعفر الطبري (ت٣١٠هـ/ ٩٢٣م)، وهو مؤرخ واسع المعرفة، وأفرد جزءًا من تاريخه لحركة المختار بن أبي عبيد الثقفي، معتمدًا روايات أبي مخنف.
- كتاب «الأخبار الطوال» لأبي حنيفة الدينوري (ت٢٨٢هـ/ ٨٩٥م)، واهتم الدينوري بالحوادث السياسية التي جرت أيام علي بن أبي طالب، وتناول حركة المختار باختصار.
- كتاب «الفتوح» لأبي محمد أحمد بن أعثم الكوفي (ت٣١٤هـ/ ٩٢٦م)، وهو يهتم بأخبار الشيعة ويتعاطف معهم، وأفرد لحركة المختار بن أبي عبيد في كتابه إحدى وثلاثين صفحة.

- كتاب «الطبقات الكبرى» لابن سعد (ت٢٣٠هـ/ ٨٤٥م)، ويعرض حركة المختار من وجهة النظر الزبيرية، وأخباره للحركة متفرقة ومختصرة بشكل عام.
- كتاب «وقعة صفين» لنصر بن مزاحم (ت٢١٢هـ/ ٨٢٧م)، ويعد هذا الكتاب من المؤلفات الشيعية المبكرة، وقدم الصورة القبلية، وذكر أخبارًا مفصلة عن الشيعة في الكوفة.
- كتاب «الطبقات» لخليفة بن خياط العصفري (ت٢٤٠هـ/ ٨٥٤م) وأخباره عن حركة المختار قليلة ومختصرة، وتعكس وجهة نظر الرواة المعادين للخليفة.

كما اعتمدت أبو الشعر في كتابها على مجموعة أخرى من المصادر التاريخية المتأخرة، وكتب الجغرافيين العرب، ومنها كتب اليعقوبي (ت٢٨٤هـ/ ٨٩٧م)، وابن الفقيه الهمذاني (ت٢٨٩هـ/ ٩٠٢م)، وابن خرداذبة (ت٣٠٠هـ/ ٩١٢م)، وابن رسته (ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، والمقدسي (ت٣٥٥هـ/ ٩٦٦م)، والمسعودي (ت٣٤٥هـ/ ٩٥٦م)، وياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م).

وكذلك اعتمدت على بعض مصادر الإمامية، وهي متحيزة بصورة عامة؛ أي مصادر الإمامية، ومن أهم هذه الكتب وأقدمها كتاب «الرجال» لأحمد بن يحيى البرقي (ت٢٧٤هـ/ ٨٨٨م)، وكتاب «رجال الكشي» لأبي عمرو محمد بن عمر، المتوفى في القرن الرابع الهجري.

كما اعتمدت أبو الشعر في مؤلفها على كتب الفرق الإسلامية، ومنها كتاب «أصول النحل» لأبي العباس الأنباري، المعروف بالناشئ الأكبر، المتوفى سنة (٣٩٣هـ/ ٩٤٢م)، وكتاب فرق الشيعة للنوبختي (ت٣٢٩هـ/ ٩٤٢م)، وكتاب «مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين» لأبي الحسن الأشعري، المتوفى سنة (٣٢٤هـ/ ٩٢٧م)، وكتاب «الفرق بين الفرق» لأبي

جعفر عبد القاهرين طاهر البغدادي (ت٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م)، وكتاب «الملل والنحل» لأبي الفتح محمد بن عبدالكريم الشهرستاني، وكذلك اعتمدت أبو الشعر على مجموعة أخرى من كتب الفرق، مثل كتب الأسفراييني، والحميري، والرازي، وغيرها.

وأما عدد المصادر المخطوطة التي اقتبست من كتبها فبلغت سبعة مصادر مخطوطة، و١٢٤ مصدرًا مطبوعًا، و(٦٩) مرجعًا عربيًّا، و(٦) مقالات باللغة العربية، و(١١) مقالاً باللغات الأجنبية.

أهمية الكتاب:

يقدم الكتاب تفاصيل مهمة جدًّا للحالة السياسية والاجتماعية والفكرية والسكانية في الكوفة والدولة الأموية، في الفترة ما قبل العام ٦٧هـ/ ٦٨٦م، ويبدأ بدراسة مصادر البحث وتقييمها (الرواة، المصادر، المراجع)، وشملت المصادر، بالإضافة إلى المصادر التاريخية، المصادر الجغرافية، والأدبية، ومعاجم اللغة، وكتب الأنساب والفرق، وتميزت الروايات، كما تذكر أبو الشعر (ص أ)، بأنها مباشرة عن أناس شاركوا في الأحداث، أو عن آخرين شهدوا أو سمعوا، وكذلك تؤرخ لتطور الكوفة القبلي والعمراني، وتعرض اتجاهات متباينة لحركة المختار[٦].

ثم يعرض لنا الكتاب خطط الكوفة وسكانها من قبائل، وخاصة القبائل اليمانية، مثل كندة وهمدان والنخع ومراد، وهي القبائل التي ساهمت في حركة المختار، وكذلك ذكر غير العرب مثل الحمراء وهم من العجم، وميزت الدراسة بين العجم والنبط أو العلوج وهم الفلاحون الذين وجدهم العرب على الأرض عندما فتحوا العراق، فسمحوا لهم بالبقاء على الأرض وبيعها وتوريثها، وعرض الكتاب لموضوع مهم وهو حركة التشيع في الكوفة حتى

أيام المختار بن أبي عبيد؛ للتعرف على الاتجاهات الفكرية التي تركت آثارها في المصر قبل المختار.

وكذلك تناول الكتاب آثار حركة المختار الفكرية، وتتبع ظاهرة الغلو، واتهام أصحاب المختار بأنهم «سبئية»، وكذلك عرض الكتاب لموضوع الخشبية في الكوفة والحجاز ونصيبين، وربط بينهم وبين الكيسانية.

ومن المواضيع المهمة لدى المؤرخة أبو الشعر دراستها الشعر العربي ودواوينه، وخاصة في موضوع المعتقدات الفكرية، مثل فكرة المهدي والغيبة والرجعة، التي جاءت في شعر كُثيّر عزة (ت١٠٥هـ/ ٧٢١م)، والسيد الحميري (ت١٧٣هـ/ ٧٩٣م)، وتذكر المؤرخة أبو الشعر أنه لا يمكن دراسة الكيسائية، على سبيل المثال، بمعزل عن هذه النصوص.

منهج أبو الشعر في كتابها حركة المختار:

يمكن التعرف على منهج هند أبو الشعر في كتابها (حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي في الكوفة) من خلال مقدمة كتابها، ومن خلال الفصل الأول: دراسة مصادر البحث وتقييمها. فعلى الرغم من عدم طول المقدمة إلا أنها تضمنت منهاجها الذي اتبعته في تأليف الكتاب؛ إذ تقول فيها: «هذه محاولة لدراسة الفعاليات القبلية في إطار التيارات العامة، السياسية والفكرية، في الكوفة».

ويتضح من خلال المقدمة، أن أبا الشعر أحاطت إحاطة كبيرة بالروايات التاريخية وتدقيقها لمصادرها وميول أصحابها، وتمتاز هذه الروايات بأنها مباشرة عن رواة شاركوا في الحوادث أو عن قريبين منها، وتعرض أوضاع الكوفة الاقتصادية والاجتماعية، وخططها وأزقتها وأسواقها. ومن هنا تميزت دراستها بدراسة تطور مدينة الكوفة السكاني والعمراني من خلال الروايات التاريخية[٧].

غير أن دراسة أبو الشعر هذه تنفرد بعرض الروايات المتباينة عن ثورة المختار، فبعضها زبيري[٨]، وبعضها أموي[٩]، وآخر من وجهة نظر السلطة العباسية[١٠]، وهناك روايات إمامية ترى المختار خارجًا، وتؤكد غلوه وانحرافه[١١]، وهنا تؤكد هند أبو الشعر ضرورة الحذر والتدقيق في جميع الروايات قبل الأخذ بها[١٢].

كما اتبعت أبو الشعر المنهج المقارن، بعرض الروايات المختلفة، وكيفية عرض الرواة لحركة المختار، ثم عرضت للمصادر التاريخية التي تناولتها[١٣]، ولم تكتف بعرض الروايات من دون الخوض في أدلة المخالفين.

كما تميزت عبارات كتابها بالدقة الشديدة، مع التوسع غير المخل، فجاءت كأنها لوحة فنية في صياغتها ودقتها، والتزمت أبو الشعر بذكر التواريخ الهجرية والميلادية، وجاء هذا الالتزام صارمًا في عموم كتابها، ومرده عمق المنهج التاريخي لديها.

الخاتمة

توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج الأساسية، لعل من أبرزها:

- تعد هند أبو الشعر من المؤرخين الأردنيين والعرب القلائل الذين درسوا، بعُمق، حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي في الكوفة، وهي كذلك من المؤرخين القلائل في العالمين العربي والإسلامي الذين درسوا هذه الحركة بحيادية وعلمية.
- توصلت الدراسة إلى أن موضوع الغلو لم يبدأ إلا بعد وفاة علي بن أبي طالب.
- توصلت الدراسة إلى أن دعوة المختار لم تتجاوز مدينة الكوفة، وأن معظم من ساند المختار هم من القبائل اليمانية، وأن التعميمات الواردة حول مشاركة الزنج والحمراء ضعيفة ويجب تقديمها بحذر.

- ناقشت أبو الشعر قضية الكرسي ودلالته، وترى أنه يمثل شعائر يمنية قديمة عند بعض أصحاب المختار.
- توصلت من خلال قراءة لكتاب (حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي في الكوفة) أنه تضمن تاريخًا شاملًا لمدينة الكوفة، بخططها وولاتها وقضائها، والحوادث الرئيسة التي جرت فيها.
- نبعت أهمية كتاب أبو الشعر من اعتمادها على الرواة المعاصرين للأحداث التي أرخت لها، وكانوا شهود عيان على الكثير من حوادثها.
- اعتمدت أبو الشعر في كتابها على مشاهدات الرواة والمصادر الأدبية، والفِرق، والشعر، والرحلات، والتراجم؛ لتدوين الحوادث المختلفة.
- أضحى كتاب هند أبو الشعر (حركة المختار) مصدرًا أساسيًّا لكل من جاء بعدها في التأريخ لحوادث وأوضاع العراق بشكل عام، والكوفة بشكل خاص، في الفترة التي أرخت لها.

الهوامش

(١) **للأستاذة الدكتورة هند أبو الشعر العديد من الكتب والمؤلفات منها:**

ـ إربد وجوارها (ناحية بني عبيد ١٨٥٠-١٩٢٨)، ١٩٩٥م.

ـ دراسات في مصادر تاريخ العرب الحديث (محررة)، ١٩٩٨م.

ـ بناء الدولة العربية الحديثة، ١٩٩٩م.

ـ تاريخ شرق الأردن في العهد العثماني (١٥١٦-١٩١٨)، ٢٠٠١م.

ـ الدولة العثمانية، بدايات ونهايات، (محررة ومشاركة)، (د.ت).

ـ سلسلة الوثائق الهاشمية (صندوق الأمة)، ١٩٩٤م.

ـ كتاب الرواية في الأردن، (محررة ومشاركة).

ـ مجموعات قصصية، شقوق في كف خضرة، ١٩٨٢م.

ـ الحصان، قصص، ١٩٩١م.

ـ عندما تصبح الذاكرة وطنًا، قصص، ١٩٩٦م.

وهناك العديد من المؤلفات والأبحاث العلمية المحكمة للدكتورة أبو الشعر.

(٢) هند أبو الشعر، **حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي في الكوفة**، عمان، الجامعة الأردنية، ١٩٨٣م، ص١.

(٣) هند أبو الشعر، المرجع نفسه، ص٢.

(٤) المرجع نفسه، ص٦.

(٥) المرجع نفسه، ص أ.

(٦) المرجع نفسه، ص٣٩-٤١.

(٧) المرجع نفسه، ص٣٩-٤١.

(٨) مثل روايات عروة بن الزبير (ت٩٤هـ/ ٧١٤م)، وهشام بن عروة (ت١٤٥هـ/ ٧٦٣م).

(٩) مثل روايات عوانة بن الحكم (ت٢٤٧هـ/ ٨٦١).

(١٠) مثل روايات المدائني (ت٢٣٥هـ/ ٨٥٠م).

(١١) انظر: الكشي، **رجال**، ص١١٥، رقم ٣٧٩، الطوسي، رجال، ص١٢٥-١٢٨.

(١٢) أبو الشعر، **حركة المختار**، ص١، الفقرة الثانية.

(١٣) أبو الشعر، المرجع نفسه، ص٧-١١.